باب المناظرة والمراسلة

جواب على استفتاء المنار (جزء ٢ مجلد ١٨) في قول الشاعر

جدير (كذا) ببهرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ ومسحةِ عثنون وفتل الاصابع

وانما قال الشاعر (مَلِئٌ ببهرٍ) فقوله جدير سهو منه في اللفظ لا في المعنى لأن ملِئ معناها عنده جدير أو حري أو او ... وتفسيره ملِئ بهذا المعنى هو الذي حمله على استغراب التقدير في البيت . مع انه لم يرد في كتاب من كتب اللغة ملِئ بمعنى جدير او حري او ما يصح به معنى البيت بالعطف على بُهر ، ولم يسمع هذا المعنى حقيقة ولا مجازا الاَّ اذا استعمله بعضهم وحمله على المجاز من عنده تجوزاً ولا يخفى أن اللغة سماعية توقيفية لا يُحتج بالاصطلاح والاستعمال فيها . وحاصل ماورد في كتب اللغة ان مَلِيء(؟) من مَلِئَ كسمع فعيل بمعنى مفعول ومعناه مملوء ومنه ملِئَ للغني لامتلاء خزائنه بالمال والحسني القضاء لامتلائهم علما وحكمة فيقال فلان مملوء بالبهر والعي ولا يقال مملوء بالالتفات ومسح اللحية وفتل الاصابع . فاذا سخف المعنى وجب التقدير وان استقام النظمُ . وبحث خطأ المعاني وصوابها والحذف والتقدير لذلك مذكور في محله من كتب البلاغة . واليك خلاصة ما ورد في معنى ملِئَ بالهمز قال في القاموس : مَلأَه كمنع ملأً ومِلأَةً بالفتح والكسر ومَلَّأَه تملئة فامتلأَ وتمَلَّأَ ومَلِئَ كسمع اقول (ومَلِئٌ من ملِئَ) هذه . وقال في تاج العروس : ورجل ملِئٌ جليل يملأُ العين . وفلان املأُ لعيني وهو رجل مالِئٌ للعين . ومنه حديث عمران انه ليخيل الينا انها أشد مِلْأَة . الى ان قال في آخر المادة وهو ملآن من الكرم ومَلِئٌ

فلا وجه لاستغراب التقدير في البيت حينئذ الا اذا جوَّزنا قول من يقول فلان مملوء بمسح العثنون وفتل الاصابع ولم نستسخفه . أو وجدنا معنى لملِئَ يصح به العطف على بهر وكان هذا المعنى وارداً في اللغة حقيقة أو مجازا واستعمله من يُعتد ويُحتج به

(متأدب)

(المنار) صححنا البيت في الجزء الماضي فلم يبق محل لما ذكر في هذا الجواب في شأن استبدال كلمة جدير بكلمة مليء، والواجب حصر الكلام في ضبط البيت وبيان معناه بالألفاظ التي ورد فيها

ادعى (المتأدب) المجيب ان حاصل ما ورد في كتب اللغة ان مليء معناه مملوء ، وانه من ملئ كسمع وانه يصح ان يقال : فلان مملوء بالبهر ، ولا يصح ان يقال مملوء بالالتفات ومسح اللحية وفتل الاصابع — فلهذا وجب التقدير عنده . وهو هو الذي قال ان التقدير : وله التفاتٌ وسعلةٌ الخ ولا وجه لاستغراب التقدير عنده الا في الحالتين اللتين ذكرهما في الجواب وهما عنده في حيز النفي هذا حاصل جوابه.

ما ذكره وبنى عليه جوابه من ان حاصل ما في كتب اللغة ان « مليء » معناه مملوء ، وأنه من ملئ كسمع — غير صحيح ، فما كل مملوء يسمى مليئا ، ولا كل ما أطلق عليه لفظ مليء يصح أن يطلق عليه لفظ مملوء ، وان كان لا يخلو الاستعمال من المناسبة لاصل معنى المادة — ولامليءٌ من ملئ كسمع. قال في لسان العرب: والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقد ملُؤ فهو مليء ، ومُلِئَ فلان واملأه الله: أزكمه فهو مملوء على غير قياس — ثم قال — وقد ملُؤ الرجل يملُؤ ملاءة فهو مَلِيءٌ : صار مليئا اي ثقة، فهو غني مليء بين الملاء والملاءة - ممدودان — وفي حديث الدين «اذا اتبع احدكم على مليء فليتبع» المليء بالهمز الثقة الغني. وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء. وفي حديث علي كرم الله وجهه «لامليءٌ والله باصدار ما ورد عليه» اه

وفي القاموس المحيط : والملاء الاغنياء المتمولون أو الحسنو القضاء منهم ، الواحد مليء اه وقد غفل (المتأدب) المجيب عن قوله « منهم » فظن ان المليء يطلق على الحاكم الحسن القضاء لامتلائه علما وحكمة . على ان له ان يقول هذا من تلقاء نفسه تجوزا وان كان في جوابه ما يدل على عدم الجواز . فالقول الثاني من قولي القاموس ان المليءٌ يطلق على الغني الحسن القضاء أي الوفاء لا على كل غني. ومثل هذا لا يجوز ان يقال فيه مملوء . وفسر الجوهري المليء بكثير المال أو الثقة الغني — والفيومي بالغني المقتدر . حكاهما شارح القاموس

وفي مجاز الاساس ما نصه : وما كان هذا الامر عن ملأ منا أي ممالأة

ومشاورة. ومنه: هو مليء بكذا: مضطلع به. وقد ملؤ به ملاءة وهم مليئون به وملآء له

هذا حاصل ما ورد في كتب اللغة في الكلمة لا ما قاله المجيب . ومنه يعلم أن اظهر هذه الاقوال في تفسير البيت ان «مليئ» فيه بمعنى مضطلع ، وحاصل المعنى ان هذا الخطيب الذي يذمه الشاعر لا قوة له على الخطابة ولا اضطلاع له بها وانما هو مليئ مضطلع بصفات العي والحصر كلها ، وهي البهر الذي هو انقطاع النفس وتردده من الاعياء ، والالتفات ، ومسح اللحية ، وفتل الاصابع . فالمضطلع بالامر هو القوي عليه القادر على احتماله. ويصح أيضا ان يقال انه غني وثقة بهذه الصفات، اي لانه فقير من الفصاحة والبلاغة ، وما به تكون الخطابة ، أولا ثقة به في ذلك

ومن البديهي أن كلمة مملوء لا تحل محل كلمة مضطلع ولا كلمة ثقة ولا كلمة حسن القضاء أي لما عليه من الحق ، بل ولا محل كلمة غني ومزكوم ، ولكن معنى الامتلاء يناسب هذا المعنى في الجملة دون معنى المضطلع والثقة . ولم يردعنهم: إناء أو دلو أو ذق مليء، كما يقال مملوء. فالفرق بين مليء ومملوء مثل الصبح ظاهر

ثم اننا نقول اذا جرى (المتأدب) في فهم كل استعمالات اللغة على الطريقة التي جرى عليها في فهم هذه الكلمة (مليء) فاته الفهم الصحيح في أكثرها . وأعني بهذه الطريقة أن يعمد الى كلمة من أصل المادة ويحمل عليها كل معنى حقيقي ومجازي لها . مثال ذلك قولهم : اضطلع بالامر . اصل معناه الاشتقاقي : احتملته اضلاعه ، ولكنه يقال في الامور المعنوية . ومنه قول علي كرم الله وجهه في صفة النبي (ص) فاضطلع بامرك لطاعتك . فسروه في كتب اللغة والحديث بقولهم : قوي عليه ونهض به . وليس أمر الوحي والدين مما تحمله الاضلاع ، وانما يحمله العقل والروح ويؤديه اللسان .

هذا ماظهر لنا . فما يقول في البيت أدباء مصر كالشيخ المرصفي والشيخ محمد المهدي واسماعيل باشا صبري وحفني بك ناصف واحمد بك تيمور وحافظ بك ابراهيم ومحمد بك المويلحي وسائر الكتاب والشعراء ؟